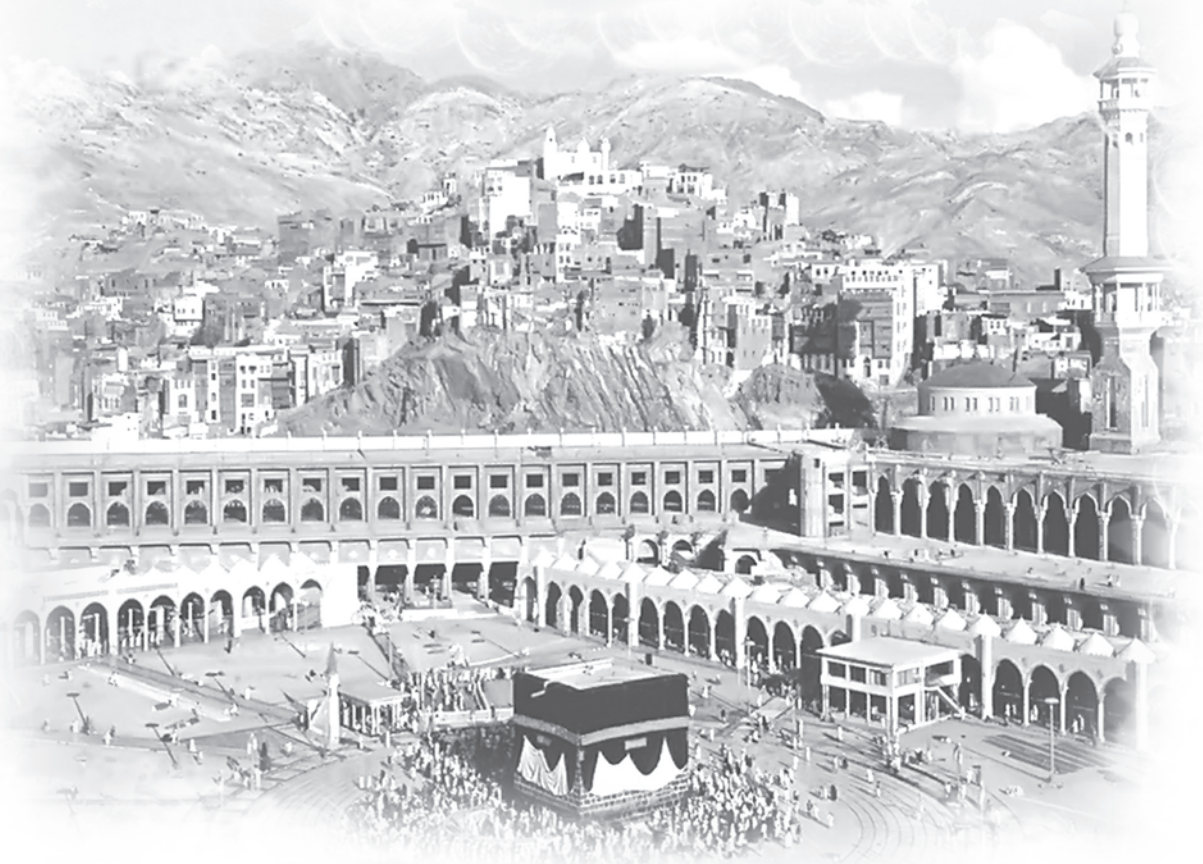


علماء الحرم الشريف،

نشر النور والزهر نموذجاً

أ. د. أبوبكر أحمد باقادر



مصادر التاريخ المكي

ولعل كتاب «العقد الثمين» وما تلاه من مصنفات تاريخية تواصلت حتى قرون متأخرة جداً لتنتهي بنشر النور والزهر وإفادة الأنام للغازي تمثل هذا «الجنس الكتابي» الهام. وفي هذه المتون التاريخية الهامة، تورّد أسماء الشخصيات مبنّوة بحسب الترتيب الأبجدي للاسم الأول مع تفاصيل عن سيرة صاحبها، وتقتصر بحسب المتوافر من معلومات.

وهناك ما يمكن أن يسمى بالسجل التاريخي السنوي، وفيه رصد بأهم الوقائع والأحداث والأسماء تذكر مفصلة في كل عام، وهذا النوع من التسجيل يقدم صورة دينامية حية للوقائع والأحداث التاريخية وربما علّل أسبابها المحلية والدولية، من أمثلة هذه الكتابات كتاب «إتحاف الوري بأخبار أم القرى» وما تلاه من كتب على منواله. وكما أوضحنا فإن هذا الجنس الكتابي يمكن أن

ربما كانت مدينة مكة من أكثر مدن العالم التي حظيت بالتواريخ والاهتمام بتدوين ما جرى ويجري فيها. والكتابات التاريخية عن المدن الإسلامية عموماً ومكة خصوصاً ليست على طراز أو أسلوب واحد. بل يمكننا الادعاء بأن هناك أكثر من «جنس كتابي» للتأريخ عن المدن العربية المسلمة. فهناك ما يمكن أن نسميه تاريخ المدينة عبر تاريخ سكانها وهو فن طوره المسلمون واعتنوا به وحظيت مكة بالعديد من كتب التاريخ التي تناولت رجالات وسكان ومجاوري مكة المكرمة. بعض هذه الكتابات يدخل في كتب التاريخ مباشرة وبعضها في مجالات قريبة مثل المغازي والسير وكتب رجالات الحديث والطبقات العلمية عموماً. لكن مكة حظيت مع ذلك بكتب «تاريخية» سجلت أهم رجالاتها،

يكون مكتملاً وموضحاً لجوانب تتخطى مسألة الترجمة للأعيان من علماء ومفكرين وفقهاء، كما هو اهتمام الجنس السابق. ويصور جوانب تفصيلية من حياة المدينة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية مفصلة من عام لآخر، ومن ثم فإنها توفر معلومات عن التحولات والتغيرات التي مرت وتمر بها المدينة.

وهناك جنس كتابي ثالث يهتم بالتاريخ للسياسة ورجالاتها ومن ثم الأحداث السياسية في حياة المدينة المقدسة، ومن هذه الكتابات كتب «غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام». وهنا نجد بسطاً للسيقات والأوضاع السياسية التي ربما فسرت وجود أشخاص معينين أو قيام مؤسسات ما ونحو ذلك في مكة.

بالإضافة إلى وجود العديد من الكتابات التي قدمت تراجم لمن

تولوا سدة الحكم في مكة، لعل من أحدثها ما كتبه الدحلان «حكام مكة»، والعديد من الكتب التي لم تكتف بذكر ولاية مكة وإنما أوردت معلومات عن من ولي إمارة الحج من أوطانهم إلى مكة ومن حج من أمراء المؤمنين والخلفاء والسلاطين المسلمين على مر التاريخ. وبذلك يمكن للمطلع على هذه الكتابات التاريخية أن يتزوّد بنظرة تفصيلية تؤكد على حيوية هذه المدينة وحيوية ما يدور فيها، ولو أثناء الموسم.

ومن الكتابات التاريخية ما يمكن تسميته الكتابة التاريخية الشاملة، ومن أبرزها ما دجته أقلام الأزرقى والفاكهي، انتهاء بالسباعي من تواريخ عامة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في مكة. ولقد سعى العديد من الأدباء في مكة في العقود الأخيرة إلى تسجيل جوانب ثقافية من حياة مكة والمكيين غدت أثراً

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

بعد عين من هؤلاء الرفيع والسباعي
والمغربي وسواهم.

ومكة حاضرة بقوة في العديد
من التواريخ الخاصة، مثل كتب
الطبقات، وبالذات في كتب طبقات
الفقهاء والمفسرين. فهناك مدارس
علمية هامة قامت ولا يزال إشعاعها
مستمراً بإذن الله في هذه العلوم
الإسلامية.

ولقد توافرت في كافة لغات
العالم، ومن أبرزها العربية، كتابات
شخصية حميمة عن مكة، أسميتها
بأدب الحج وهي تدور في فلك
أدب الرحلة الحجازية، يصور فيها
أصحابها رحلتهم «حجهم» إلى
هذه المدينة العظيمة. ولن نكون
مبالغين إن قلنا: إن هذا الجنس
الأدبي/الثقافي لا يزال جنساً مجهولاً
وما نعرفه من أدب الرحلات هو
أقل القليل وينبغي بذل جهود كبيرة
لاكتشاف ما يمكن أن يقدمه هذا

المنجم بالمعلومات. ولا يقتصر الأمر
على الكتابة الفصحى الرفيعة،
فالأدب الشعبي غني جداً بما ذكر من
أحاسيس ومشاعر ومعلومات عن
هذه المدينة الخالدة.

ورغم أن العقود الثلاثة الماضية
شهدت نشاطاً مشكوراً لنشر
العديد من هذه المدونات التاريخية
في طبعات محققة وتقديم الفهارس
الميسرة للباحث أو الدارس، إلا أن
هذه الجهود، مع تقديرنا الكبير لها،
لا تزال في أول الطريق والحاجة ماسة
جداً لمزيد من التبويب والفهرسة
ومن ثم تسهيل توافر المعلومات
للباحثين. فكما هو معروف هذه
المتون التاريخية بالصورة التي كتبت
بها تشكل فقط مادة أولية غنية،
لكنها مادة أولية تتطلب التحليل
والسير والحفر والأبحاث التاريخية
التي تنطلق من أسئلة إشكالية
هذه المتون تقدم لها المادة العلمية

للإجابة عنها.

تاريخ مكة الثقافي والاجتماعي

رغم وجود العديد من المحاولات لتقديم دراسات تاريخية حديثة عن مكة المكرمة، لكن مع ذلك بإمكاننا القول: إن المكتبة التاريخية المكية لم تظفر بعد بالدراسات الحديثة التي تقدم لمكة نصوصاً تستخدم الأساليب التاريخية الحديثة. وعمليات التحقيب التاريخي، بحيث يمكننا الحديث عن فترات تاريخية قديمة وأخرى وسيطية وحديثة، لا تزال منطحة بالأفكار العامة عن التاريخ الإسلامي، وهي في ذلك افتراضية وليست دقيقة، تعتمد على شواهد ووثائق تاريخية علمية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الدراسات التاريخية الكمية لم تعرف طريقها بعد بشكل واضح لمعالجة هذه النصوص والمتون التاريخية. فكما هو معروف هناك أساليب ووسائل علمية جديدة تسعى إلى تحويل

وهذه المعلومات، تشتكي كما هو واقع الحال في حال أي بيانات أولية من النقص وتضارب المعلومات أو تناقضها أحياناً. كذلك بوصفها بيانات أولية، الحاجة ماسة لمقارنتها وضبطها من أجل الوصول إلى ما يسمى «بيانات نوعية» يمكن اعتمادها في أي تحليل. ولا مانع للوصول إلى ذلك عبر النصوص الواردة في مظان عديدة أو بالإحالة إلى الشواهد المادية الإشارية ونحو ذلك. وربما كانت الحاجة ماسة من أجل سرعة الحصول على البيانات والمعلومات، أن تدخل في الحاسوب، بحيث يمكن للباحثين استرجاعها بسهولة عند الطلب من ناحية ومراجعتها في العديد من المصادر العلمية، ومن ثم الخروج ببيانات موثقة تاريخياً.

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

البيانات والمعلومات الواردة في المتون التاريخية العامة إلى أرقام، حتى يسهل تبويبها ومن ثم معالجتها. فمثلاً يقدم لنا المؤرخ والباحث الأمريكي في التاريخ الإسلامي المبكر روبرت بوليه؛ دراسات كمية عن فتوحات بلاد الشام ومصر، وعن طريق هذه المحاولات التاريخية الكمية تمكّن من إبراز العديد من الأسئلة والقضايا من ناحية وتمكن أيضاً من لفت النظر إلى أن عملية الأسلمة تمت تدريجية وأوضح كيفية انتشار اللغة العربية وأمور أخرى عديدة.

وتقدم دراسات مونجمري وات في كتابيه: «محمد في مكة» و «محمد في المدينة» واستخدامه لبعض هذه المتون والتراجم لدراسة الولاءات القبلية والصلات الشخصية في تفسير بعض جوانب ما جرى في السيرة النبوية من ناحية وما تم من

تحولات في المجتمع العربي في فترة الرسالة. لقد أمدت البيانات وات بمعلومات مهمة لاختيار العديد من الفروض والآراء.

وبغض النظر عن النتائج التي توصل إليها هؤلاء العلماء، تبقى مسألة الفائدة من استخدام هذه البيانات ملحة للتعرف على جوانب عديدة من حياة المكين وتاريخ مكة شرفها الله. فهذه البيانات لا يمكن التعامل معها بوصفها بيانات فردية غير قابلة للتراكم، أو أن هذه المعلومات عند تراكمها لا يمكن أن تقدم لنا صورة أكثر غنى وعمقاً عما تقدمه من تراجم للأفراد كلاً لوحده!

بالإضافة إلى ذلك، فإن أدوات تصنيف البيانات وترميزها ومن ثم تحويلها إلى بيانات كمية أصبح من الأمور الميسورة، بل وهي تستخدم بشكل واسع في الدراسات

التاريخية. وكما أوضحت في دراسة سابقة عن السجلات العدلية بوصفها منهلاً غنياً وهاماً لكتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي، يمكننا أن نعيد التأكيد نفسه. بل إننا نشهد في الفترة المتأخرة العديد من الدراسات الرائدة لبعض جوانب حياة المدن: دراسة الأعيان أو العلماء أو الحياة الأسرية أو جوانب من الحياة الاقتصادية اعتماداً على السجلات العدلية أو كتب التراجم. وما يؤسف له أن من يقومون بهذه الدراسات هم في غالبيتهم من المستشرقين أو العلماء المحدثين، فلقد وقفوا على العديد من الدراسات التاريخية التي قام بها زملاؤهم في دراساتهم التاريخية عن أوروبا وخلافها. ولعل مدرسة الحوليات، وبالذات كما هو الحال في كتابات مؤسسها فردناند جرويل وكتابات عن البحر الأبيض المتوسط، أو كتابات جوانين

عن جنيز العاهرة ومن ثم كتاباته عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية ليهود مصر ومن حولهم، من الأمثلة المشهورة والرائدة عن إمكانات إعادة الفائدة من البيانات الأولية وأحياناً المعلومات المتناثرة. إن عملية إعادة التويب والتصنيف ومن ثم ربط هذه البيانات ببعضها يفتح آفاقاً واسعة وكبيرة لمزيد من التحليل ومن ثم الإجابة على أسئلة كبرى كان يعتقد لفترة متأخرة جداً أنه لا توجد معلومات أكيدة للإجابة عنها، ومن ثم مال بعض للتخمين أو إصدار أحكام انطباعية.

ويوضح لنا هارلود موتسكي في دراسة حديثة، كيف أن الدراسة الكمية التفصيلية، يمكن أن تحسم جدلاً وآراء انطباعية استمرت قروناً، عندما عالج مسألة مساهمة بعض الموالي في تأسيس علم الفقه، وكذلك دحض الآراء القائلة

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

بتأثير الفقه الروماني عبر النصارى واليهود على الفقه الإسلامي، انطلاقاً من دور مزعوم لبعض الموالى. وكانت المعالجة متميزة بالدقة والأناقة والبساطة معاً، لكنها

فوق كل ذلك حاسمة.

«نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة» مصدر لدراسة دور العلماء



٢٠٤

م
ش
ق
ا
ت

فهم من العرب والأفارقة ومن كافة
أصقاع آسيا شرقاً وجنوباً ووسطاً
بل وأقاصي جنوبها وكذلك الحال
في أفريقيا!

والكتاب قدم تراجم مختصرة عن
هؤلاء العلماء، وتتفاوت التراجم
المقدمة من حيث المادة المقدمة من
حيث التفاصيل التي قد تقدم لهذا
العالم عن غيره، لكن إجمالاً هناك
انتظام في تقديم معلومات أساسية
عن الجميع. وحتى نفيد من هذه
المعلومات أو بالأصح البيانات
الأولية، سعينا إلى تحديد (١٤) مدخلاً
للمعلومات قمنا بإعداد البرنامج
الحاسوبي لترميزها وإدخالها فيه.

وهذه المدخلات أو المتغيرات بلغة
العلوم الرياضية تشمل: اسم العالم
وتاريخ ميلاده ومكان الميلاد، تاريخ
الوفاة ومكانها، اللقب، الكنية،
المذهب، قائمة المصنفات التي ألفها،
العلوم التي تعلمها، العلوم التي قام

نسعى في هذه المداخلة لتقديم
كتاب الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير،
قاضي مكة والمتوفي عام ١٣٤٣هـ،
«نشر النور والزهر في تراجم أفاضل
مكة»، وكيف أنه باستخدام أساليب
التاريخ الكمية يمكن تحويل هذا
المصدر التاريخي إلى منجم معلومات
هام عن أعمال علماء الحرم المكي
تخصيصاً من القرن العاشر إلى
القرن الرابع عشر.

والنص الذي سنعالجه هنا هو
المختصر الذي قام بتبويبه وتحقيقه
كلُّ من محمد سعيد العامودي وأحمد
علي، ولقد تم التحقيق عن مخطوطة
لكتاب بمكتبة الشيخ عبدالوهاب
الدهلوي. ويحتوي الكتاب على
تراجم (٦٠٥) من علماء مكة المكرمة
ومن بين هؤلاء (٣٠) سيدة! وينتمي
هؤلاء العلماء الأفاضل إلى المذاهب
الفقهية الأربعة وتعود أصولهم
الإثنية إلى كافة الأعراق الإسلامية،

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

بتدريسها، أشهر أساتذته كما ورد في المتن، أشهر تلاميذه كما ورد في المتن، أعماله العامة، أهم الصفات التي اشتهر بها وأخيراً سفرياته.

بطبيعة الحال قد تغيب في المتن بعض هذه المتغيرات أو قد لا تنطبق على المترجم له. لكن بحسب اطلاعنا على تراجم الكتاب كان هناك حرص من المؤلف على ذكر كافة هذه البيانات. ولقد عملنا على إعداد البرنامج الحاسوبي على إدخال كافة التفاصيل الممكنة، لكن بشكل معياري، فمثلاً قد نكتفي في ذكر الاسم بالاسم الرباعي فقط، وفي حالة عدم توافر هذه المعلومة أو أن المؤلف قدم تفاصيل أطول فإننا سنسعى إلى إكمال النقص من مصادر أخرى، وفي حالة تقديم معلومات أطول نكتفي بأربعة أسماء فقط! وفي حالة عدم توافر معلومة ما، مثلاً عدم تقديم المذهب أو اللقب

أو الكنية صراحة، فإننا سنسعى إلى توفيرها من مصادر أخرى، إن أمكن، وفي حالة عدم توافرها سنترك ذلك بدون بيانات.

أما بخصوص المصنفات، فإن المؤلف غالباً ما يقدم معظم مصنفات المترجم له، وهي في مجالات علمية عديدة، لذا فإن البرنامج مصمم على ذكر كل عنوان لوحده ثم الإشارة إلى العلم الذي ينتمي إليه: فقه، توحيد، تفسير، أدب، نحو، سيرة (تاريخ)، تصوف، ونمط، حتى يأخذ أسماءهم الرباعية منعاً لأي التباس، ومن ثم قد نستعين بالكتاب نفسه في إكمال ما قد ينقص في أسماء الأساتذة أو الطلاب.

ولقد كانت لبعض العلماء مشاركات مهمة في الحياة الاجتماعية أو السياسية ولقد أخذنا بهذه المعلومات وقمنا بتبويبها إلى نشاطات مختلفة تعكس ما كان

يجري في الساحة الفكرية والسياسية العامة. وكذلك يذكر المؤلف بعض الصفات الشخصية للمترجم لهم، عرفوا بها على نطاق واسع في الأوساط المكية أو العالم الإسلامي أبرزتها لتوضيح الأدوار الثقافية والسياسية لعلماء الحرم الشريف على المستويين الشخصي والعام.

أما رحلات وسفريات هؤلاء العلماء وهي سفريات قام بعضهم بها فقط فكانت مهمة للتعرف على شبكات العلاقات العلمية والسياسية لهؤلاء العلماء الذين كانوا يتنقلون بين أوطانهم التي ولدوا فيها ومكة وعبرها إلى أجزاء مختلفة من العالم، كما هو حال العديد من العلماء الحضارمة مثلاً.

ونظراً لأن المشروع في مرحله الأولية، فإنني سأقدم وصفاً موجزاً لما يمكن أن يحققه المشروع بإذن الله للدراسات المكية التاريخية. أولاً

قمنا بإعداد أداة جمع المعلومات وهي كما ذكرنا في (١٤) مدخلاً بحسب ما أوردنا من تفاصيل. وسيقوم فريق البحث بإدخال هذه المعلومات في الحاسوب ثم مراجعة البيانات التي تم إدخالها للتأكد من صحتها ومطابقتها لما ورد في المتن الأساس، وهذا يُعرف باختيار جودة البيانات من حيث الصدق والثبات.

بعد ذلك، سنتمكن من الحصول على بيانات تفصيلية عن المترجم لهم بشكل عام من حيث سنوات الميلاد والوفاة وتوزيعهم على المذاهب الفقهية وقائمة بألقابهم وكنياتهم وغير ذلك من معلومات. لكن هذه المعلومات ما هي سوى فهرسة للبيانات الواردة وتبويب وترتيب لها، لكن وجودها الآن بهذه الصورة المنظمة والرقمية سيساعدنا بإذن الله على الإجابة على العديد من الأسئلة، من خلال ما يعرف

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

بالمقاربات والمقابلات بين البيانات
Crosstabulation وهي أمور سهلة
ومتعارف عليها عند المختصين،
كذلك ستتمكن من التعرف على
مشجرات الأسماء والكتب التي قام
هؤلاء العلماء بتصنيفها أو دراستها،
كما سنوضح.

فمثلاً، ستتمكن من خلال معرفة
تواريخ الوفيات وربطها بمتغيرات
أخرى معرفة معلومات في غاية
الطرافة والأهمية، فمثلاً بالربط بين
تواريخ الوفيات والمذهب الفقهي،
يمكننا معرفة أي علماء المذاهب
كانوا الأكثر انتشاراً ووجوداً في
عقود مختلفة في الحرم الشريف
عموماً. بمعنى مثلاً بإمكاننا عن
طريق هذه التواريخ في كل قرن:
العاشر، الحادي عشر، الثاني عشر،
الثالث عشر، الرابع عشر، معرفة
الحرم كم كان عدد علماء السادة
الأحناف، الشافعية، المالكية، الحنبلية،

في هؤلاء العلماء.
وانطلاقاً من ذلك يمكننا تقدير
تبعات ذلك الفكرية والسياسية
والعلمية وأثر ذلك على التفاعل
والتنافس بين هؤلاء العلماء. بل
يمكننا أن نقدر الأمر حتى بحسب
العقود ومن ثم معرفة هذه الأعداد
في تفاوتها بين فترة وأخرى ومن ثم
إمكانية تفسير ذلك بحسب تاريخ
مكة وما وقع فيها من أحداث أو
النظام السياسي السائد، وكذلك
نوعية التدخلات الخارجية والسياسية
الدولية، خاصة وأننا نتناول حقبة
كان الاستعمار وتدخله فيها معروفاً
في أحوال العالم الإسلامي!

ويمكننا فعل الشيء نفسه
بخصوص العلاقة بين مذهب
المترحم له ونوعية المصنفات التي
ألفها وكذلك التي تعلمها أو قام
بتدريسها، ومن خلال المقارنات
يمكننا التعرف على اهتمام علماء

المذاهب المختلفة العلمية، بحيث يمكننا الإجابة على أسئلة مثل: هل كان الأحناف أكثر العلماء اهتماماً بالدراسات الفقهية؟ وما هي أهم المصادر العلمية التي يقبلون عليها عبر القرون؟ وما هي المصنفات التي صنّفوها؟ بل يمكننا إجمالاً الربط بين نوعية الكتب المصنفة أو المدروسة أو المدرّسة بحسب تواريخ الوفيات، لتقدير فترات الانتعاش الفكري أو انحساره في حياة الحرم الشريف العلمية ومحاوله تفسير ذلك بحسب الظروف السياسية والثقافية والاقتصادية السائدة آنذاك على المستويين: المحلي والدولي.

ويمكننا الربط بين اللقب والكنية والمذهب لمعرفة من أي الخلفيات الاجتماعية والإثنية هؤلاء العلماء؟ هل الأحناف في غالبيتهم من شبه القارة الهندية ووسط آسيا والأناضول؟ هل السادة الشافعية من

اليمن وإندونيسيا ومصر؟ وهكذا. والعمل على معرفة دلالات ذلك على المستوى الاجتماعي والثقافي. بل أحياناً قد تساعدنا البيانات نفسها كما وجدت إلى أنه داخل المذهب الواحد هناك تفاصيل تستحق الدراسة والتفصيل. فمثلاً بين الشافعية نجد نوعاً من تقسيم العمل. فالسادة العلويون من الشافعية الحضارمة يميلون إلى الاهتمام بتدريس السيرة والمواعظ الدينية والتصوف، بينما يميل الحضارمة الشافعية من غير السادة العلويين إلى الفقه والقضاء، ينافسهم في ذلك الشافعية المصريون، أما الشافعية الأندونيسيون فإنهم يهتمون في الغالب بدراسة وتدريس اللغة والأدب العربي، وهكذا نجد إذن تفاصيل يمكن أن تفسر ديناميات الاهتمامات التي يقوم العلماء بتدريسها والاهتمام بها.

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

أما مهام العلماء وهي وإن كانت محدودة في معظم الأحيان بمهام تدريسية أو قضائية أو لعب بعض الأدوار في الحياة السياسية والثقافية المحلية، لكن في بعض الأحيان قد تأخذ شكل سفارات للتدخل في سياسات بعض الدول العربية أو الإسلامية. فإن هذه المهام ستوضح الأدوار التي لعبها العلماء في حياة مجتمعهم وتأثيرهم فيه وأهمية هذا التأثير. فكما هو معروف للعديد من هؤلاء العلماء طلاب ومريدون من أصحاب المهن والتجار وهؤلاء يشكلون بشكل ما جمهور المثقفين في تلك الفترات التاريخية، ومن المفيد معرفة المعلومات لفهم ومعرفة ما يجري على الساحة الفكرية والاجتماعية المكية.

أما سفريات العلماء وشبكات العلاقات فيما بينهم فإنها إن ربطت بالذهب والكنية فإنها

أما الربط بين المترجم لهم وأساتذتهم فإن هذا الربط سيساعد جداً على التعرف على ما يمكن أن يسمى سلاسل العلماء ومدارسهم، وهي ستمكن من الإجابة عن من علم منه؟ وربطها بالمذهب يمكننا الإجابة عما إذا كان التعليم مقتصرًا في مجال معرفي أو كافة المجالات المعرفية داخل مذهب واحد أم أكثر؟!

بل وبالإمكان التعرف على مدى استمرارية حلقة أو سلسلة تعليمية عبر الزمان، والإجابة على الكيفية التي تواترت فيها هذه السلسلة من العلماء وما هي العوامل التاريخية: الاجتماعية أو السياسية التي حالت أو ساعدت على الاستمرار. وفي هذا الخصوص تصبح العوامل الداخلية والخارجية مهمة في فهم ما يجري على الساحة العلمية الفكرية والتفاعلات المستمرة بين هذه الآفاق.

ستوضح مجالات التأثير السياسي والثقافي لهؤلاء العلماء في حياة الأمة آنذاك، وكذلك ربما قدمت لنا معلومات عن أدوارهم في معارك الاستقلال والتحرير من ربة الاستعمار. كذلك توضح من هذه الارتباطات مدى التداخل بين مدرسة الحرم الشريف مع غيرها من مدارس فكرية في العديد من الأقطار الإسلامية وأهمية ذلك في معرفة ودراسة الحركة العلمية والفكرية العامة.

أما ما يقدمه كتاب «نشر النور والزهر» عن الفاضلات من علماء الحرم الشريف فإنه يشكل صفحة ناصعة ومشرفة من تاريخنا العلمي والاجتماعي تستحق الإشادة والفخر. فلقد توافر في المسجد الحرام ومكة إجمالاً زمن كانت فيه حلقات علم ودرس للمرأة ولقد توصلت بعضهن إلى مستويات

رفيعة من العلم والمعرفة جعلت مؤرخاً مثل السيد عبدالله مرداد أبو الخير يضع هن مكانة ومنزلة في تراجمه للعلماء وأفاضل مكة. وبطبيعة الحال ربط هؤلاء النساء من حيث تواريخ الوفيات أو المذهب أو الكنية سيساعد على معرفة أي المذاهب عنيت بتعليم المرأة وتشجيعها على النبوغ والتبريز؛ وكذلك أي الخلفيات الإثنية، هل للعربيات دور أم كل الدور لغير العرب؟ إن وجود الطبريات وبهذا الزخم يدل إضافة إلى كل ذلك على وجود تقاليد عائلية ربما امتدت لقرون في شأن تعلم المرأة ورفيها.

أما معرفة ما اهتمت المرأة بتعلمه وتعليمه وأشهر التلاميذ والأساتذة فإن هذه الارتباطات تمكننا من إبراز وفهم ما يمكن أن نسميه المدرسة النسائية المكية. وكيف أن أوضاع المرأة في القرون الماضية على قلة

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

المعلومات المتوافرة لم تكن كلها
جهلاً وأمية كما هو سائد، وربما
مزيد من البحث والتنقيب ستفرج
عنه تفاصيل أوسع وأكبر عن
المرأة وأدوارها العلمية والفكرية
المختلفة.

وهكذا فإن عملية تكميم البيانات
يمكن أن تساعد على فتح آفاق
جديدة والإفادة القصوى من بيانات
فردية متقطعة مجزأة.

نأمل أن نتمكن من إتمام مشروعنا
هذا، الذي لا تقف في طريقه سوى
بعض الصعاب المالية والفنية التي
نرجو أن نتجاوزها في القريب.
آملين بعرضنا المتواضع هذا أن
نكون قد أبرزنا جانباً من جوانب
خدمة تراث مكة، وأملنا أن توسع
المشاريع لتشمل الموسوعات الكبرى
في تاريخ مكة كالعقد الثمين.

٢١٢

